يدربهم على حكم انفسهم بانفسهم في المستقبل ، في الوقت الذي راحت فيه تعطي كل الصلاحيات الى السلطات الصهيونية واجهزتها المختلفة اعدادا لمستقبل الدولة المرتقبة . واقتصرت في تعاملها مع العرب على تلهيتهم بالمجالس البلدية ولعبة انتخاباتها ، واطلقت عليها وعلى المجالس المحلية تسمية (الحكم الذاتي) مبالغة في رفع قيمتها في اعين الناس . وليتها منحتها الحرية والعدالة ، فبينما نراها تعتني بالمجالس البلدية اليهودية وتهتم بشؤونها ، نراها تهمل المجالس البلدية العربية وتميل بثقلها مع اليهود في مجالس البلديات المشتركة دون ان تقيم وزنا للاكثرية العربية ولا للحقوق الانتخابية ، كما ففعلت بالمجلس البلدي بحيفا ويقول البستاني منبها الناس الى ذلك كأنه يحرك في انفسهم جذوة نار الحق وإرادة الفعل :

منك الفعالُ ومنا القول والهذرُ ... فافعل وفعلك لا يبقي ولا يذر
ما ضر قومي وقد ماتت قلوبُهُمُ ... وها القيامة قد قامت اذا قبروا
الله اكبر ما اغنت ولا درأت ... شرا ولا السمع اغناهم ولا البصر
ان رحت تسلبهم حقاً وقد قدروا ... ان يخسروه فلم تسلب ولا خسروا
ما الاكثرية الا فعلها واذا ... ما قلَّ قلَّت فلا شأن ولا خطر(٢٢)

ولعله لا بأس في اعتمادنا على شعر البستاني في هذه الفترة التي عز فيها الحصول على شعر غيره ، وامامنا ديوانه ـ الفلسطينيات ـ يشبه ان يكون سجلا لكبريات الحوادث او لما له منها دلالة خاصة ، ولأهم التطورات الفكرية في فلسطين . فمن يتتبع التواريخ المثبتة تجاه العناوين في قصائده الفلسطينيات يتبين مدى التحام شعره بقضية فلسطين العربية الدامية ، منذ تشرين الثاني عام ١٩١٧ ، اذ كان انصرافه لها انصرافا تدل عليه هذه الفلسطينيات ماهية ومدى . والحق انه شاعر خصيب الوجدان ، يقظ العقل ، واعي الضمير ، اتصل بحياة فلسطين السياسية اتصالا وثيقا ، فجاء ديوانه سجلا واضحا يبدو فيه تجاوب الشعر في فلسطين مع احداثها القومية ، وقد خبر خفاياها فلم يبخل على اهلها بالتوعية والتحذير . ومن امثلة ذلك قصيدته في « الرد على الرصافي » ولها قصة نوجزها فيما يلي :

كان رئيس بلدية القدس قد دعا في أواخر كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٢٠ الى احتفال حضره المندوب السامي ، وقد القى أحد اليهود (الاستاذ يهودا) كلمة اتى فيها الى ذكر بعض مآثر العرب وافضالهم ، وثنّى المندوب السامي على ذلك « فصدق ما للعرب من تالد العلى ، وما لهم في العلم من خالد الذكر » . فقام معروف الرصافي ، على عادة الشعراء التقليديين ، يكيل المديح والاعجاب بالخطبتين ، فجعل من المندوب بدرا يحف به الحفل في ليلة محاق كادت تكون ، على علاتها ، ليلة القدر . وراح ، وقد اخطأ وضل ، ونسي او تناسى ظروف فلسطين السياسية يدفع عن العرب تهمة معاداة بني اسرائيل :

وكيف وهم اعمامنا واليهمُ ... يمت باسماعيل ، قدما ، بنوفهر
واني ارى العربي للعرب ينتمي ... قريبا من العبري ينمى الى العبر

فتلقفت دار الحكومة قصيدة الشاعر واخذت موافقته على نشرها في الجرائد المحلية ووجهت نسخة من القصيدة مع خطاب مؤرخ في ١٩٢٠/١٢/٢٩ الى صاحب جريدة (الكرمل) بحيفا تطلب نشر القصيدة في جريدته . وابى السيد نجيب نصار ، صاحب الكرمل ، ان ينشر